

عبد الصمد الشابي ونشاطه الثوري بين الأيالة التونسية وبايليك الشرق خلال القرنين 17 و18 م

• بن حيدة يوسف

• جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي - benhidasfl@gmail.com

ملخص :

يتناول البحث شخصية تاريخية دينية وهو عبد الصمد الشابي أحد شيوخ الطريقة الشابية وزعمائها الثوريين حيث كانت له حروب مع الأتراك حاول من خلالها أن يعيد مجد الطريقة ويستعيد سلطتها ونفوذها ، وتهدف الدراسة إلى التعريف بشخصية تاريخية كان لها الأثر الكبير في العلاقة بين الأيالة التونسية وبايليك الشرق الجزائري خلال الفترة العثمانية نتيجة ما قام به من حراك صوفي ونشاط ثوري بين المنطقتين ، وكيف استطاع أن يجند القبائل في مشروعه السياسي الديني المرتبط بالطريقة الشابية ، إضافة إلى أنه مثل حلقة وصل بين القطرين نتيجة تنقلاته ونشاطه الذي جمع بين البعد الديني والسياسي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية : عبد الصمد الشابي ؛ الأيالة التونسية ، بايليك الشرق ، الشابية ، القبيلة.

Astract : The research deals with the historical figure of Religious,(Abdel Samad al-Shabbi), one of the elders of the Shibbia method and its revolutionaries, where he had wars with the Turks, through which he tried to restore the glory of the way and regain its power and influence The study aims to identify a historical figure who had a great influence in the relationship between the Tunisian regence and the Algerian East Baylik during the Ottoman period as a result of the movement of Sufi and revolutionary activity between the two regions and how he managed to recruit the tribes in his religious political project associated with the(Shabbia method) In addition to the link between the two countries as a result of his movements and activity, which combined the religious dimension, political and social.

Key words : Abdel Samad Al Shabbi; The Tunisian Regence; Bailek East ; El shabbia; tribe.

مقدمة:

يعتبر عبد الصمد الشابي⁽¹⁾ أحد شيوخ الطريقة الشّابية⁽²⁾ وزعمائها الثوريين، حيث كانت له حروب ومعارك مع الأتراك حاول من خلالها أن يعيد مجد الطريقة ويستعيد سلطتها ويوسع نفوذها، كما عرف نشاطه حراكا بين الأيالة التونسية وبايليك الشرق بقسنطينة مستفيدا في نشاطه من دعامة قبلية ومنظومة صوفية ورثها عن أسلافه، والتساؤل المطروح ماهي مراحل النشاط والنضال التي عرفتها الشابية في عهد عبد الصمد الشابي؟ وعلى ماذا قامت استراتيجيته؟ وما مدى تأثيرها على الأيالتين التونسية والجزائرية ونظام الحكم فيها؟

1- بداية النشاط النضالي لعبد الصمد الشابي:

تبدأ المسيرة النضالية لقائد الشابية عبد الصمد مع انتقال أسرته إلى توزر، وتختلف الروايات حول سنّه أثناء الفترة التي خرجت فيها الأسرة الشابية من القيروان، وحسب بن أبي دينار فإنّ عمره لم يتجاوز أربعين يوما: "والشيخ عبد الصمد الذي أدركناه ممن خرج من القيروان عند انزعاجهم وهو إذ ذاك دون الأربعين يوما"⁽³⁾، أمّا علي الشابي فيرى غير ذلك حيث يذكر بأنّ عمره سبع سنوات⁽⁴⁾.

وفي فترة طفولته انتقل مع أبيه محمد بنور الشابي إلى بايليك الشرق بقسنطينة واستقرّ في "تيزقارين و"جبل ششار" مع أسرته أين تكوّن تكوينا عسكريا، وشارك إلى جانب والده في المعارك التي قادها بالمنطقة وفي الجنوب الشرقي التونسي، مما شكّل لديه رغبة ملحّة في استعادة القيروان، ومواجهة الأتراك بعد تقلده مشيخة الطريقة خلفا لوالده⁽⁵⁾.

ولا تكاد تتفق الروايات حول بدايات نشاطه الثوري، فهناك من يرجعه إلى سنة (975هـ/1567م)، حيث حاول استعادة مجد الدولة الشابية المفقودة، فبعد سن السادسة عشر من عمره قاتل أحمد سلطان، ثم محمد الحفصي، ولكن استغلال الإسبان للتنافس بين أحمد سلطان والشابية قد أثر على مشروعه⁽⁶⁾.

2- عبد الصمد الشابي و سنان باشا⁽⁷⁾:

يرجع الإستقرار الفعلي للعثمانيين بتونس إلى القائد سنان باشا الذي يعتبر على حسب بعض الروايات منقذ البلاد التونسية⁽⁸⁾، فقد حسم معركته ضد الإسبان في حملته سنة (981هـ/1573 م)⁽⁹⁾، والتي كان من نتائجها انضمام تونس للدولة العثمانية بداية من سنة (982هـ/1574م)، وأصبحت مرتبطة بالباب العالي باسطمبول، وتخضع لباشا تعزّزه حامية عسكرية من الإنكشارية ويسير إدارة جديدة عثمانية⁽¹⁰⁾، كما حصل الباشا على تفويض مطلق في البلاد يسمح له بتسيير شؤون الأيالة وفق ماجرت عليه الإدارة العثمانية مع ولايتها البعيدة، واستعان سنان باشا في إدارة سلطته بحيدر باشا الذي عينه عاملا على القيروان⁽¹¹⁾.

وفي هذه الفترة كانت الشابية قد اتخذت من قفصة وتوز وصولا إلى قلعة تيزقارين مستقرًا لها، بعد خروج شيوخها وأتباعها من القيروان مرتبطين بعداوة اتجاه الوجود العثماني الذي تسبب في إسقاط دولتهم

، باستثناء بعض التقارب الذي حدث في فترات مختلفة منها الإستقبال الذي حظي به رمضان باشا⁽¹²⁾ وجنوده من طرف القبائل الحليفة للشايبة أثناء رجوعهم للقيروان بعد الإنتصارات التي حققوها ضد الإسبان، إضافة إلى التحالف الظرفي الذي حدث بين الشايبة و سنان باشا والمتمثل في مساعدة عبد الصمد الشابي له سنة (981هـ/1574م) أثناء محاصرته للإسبان في حصن حلق الوادي⁽¹³⁾.

وأثناء هذا الحصار قام الجنود العثمانيون بإلقاء حوالي سبعين ألف قنطار من الصوف، كل قنطار منها وضع فيها قنطاران من الرصاص ليثقل به ويغوص في ماء الخندق الذي يفصل بين المسلمين وحصن العدو لاجتيازه، وحين تمّ لهم ألقوا فوقه الحطب والخشب والتراب إلى أن امتلأ الخندق وانطلقوا إلى الحصن فألحقوا بالعدو هزيمة نكراء⁽¹⁴⁾.

وقد أشار ابن أبي دينار لهذه الواقعة بنوع من التحفظ والشك في مشاركة عبد الصمد الشابي وقبيلة دريد المتحالفة معه بقوله: "وأخبرت من أهل تونس أنّ الصُوف الذي ألقوه من نجع دريد أكثره ومن غيره أقله، وأظنّ أنّ الشيخ عبد الصمد ممن حضر الخطرة.." ⁽¹⁵⁾.

كما أكد علي الشابي على حقيقة المشاركة استنادا إلى ما ذكره صاحب الأنوار السنية بأنّ مساهمة عبد الصمد الشابي في هذه الواقعة كانت فعلية، وهو الذي أشار على سنان باشا بإقامة جسر من الصوف حتى يتمكن من التغلب على العدو، وبعد موافقة سنان باشا استعان بقواته من قبائل دريد لجلب الصُوف ⁽¹⁶⁾.

وبناء على هذه الرواية التي تؤكد مشاركته في حصار حلق الوادي فقد تكون لها أهداف معينة، تتعلق بمواجهة الخطر الإسباني وإنقاذ البلاد من الخطر المسيحي، كما أنّ هذا النوع من التقارب حدث سابقا بين عرفة الشابي وخير الدين ⁽¹⁷⁾.

إضافة إلى ارتباط المشروع الشابي برغبة عبد الصمد الشابي في توسيع مجال نفوذه بمعونة القبائل المتحالفة معه، جهة الشرق من وادي بومرزوق بعدما سيطروا على المراعي، ورغم ذلك فلم يستفد عبد الصمد الشابي من المساعدة التي قدمها للجيش العثماني، حيث كان يرغب في السيطرة على المنطقة التي باشر بها نشاطه ⁽¹⁸⁾.

ويحاول علي الشابي إيجاد تفسير لطبيعة التحالف فيخلص إلى أنّ عبد الصمد الشابي لمّا تأكد من رغبة الإسبان في تكوين مملكة لهم في تونس أرجأ حقه على الأتراك العثمانيين وتناهى هزيمة القيروان سنة (965هـ/1557م)، وانضمّ إلى سنان باشا في الحرب لتحرير البلاد، وساهم مساهمة فعالة بجيشه من الأعراب وبالإمكانات الكبيرة التي وفرّها وبحسن التخطيط ⁽¹⁹⁾.

ولكن هذا التحالف الظرفي لم يستمر لفترة طويلة ولم يُثمر بعد فشل عبد الصمد الشابي في تحقيق أهدافه بالحصول على المناطق التي كان يرغب في الإحتفاظ بها ⁽²⁰⁾، إذ سرعان ما عاد الصراع إلى الواجهة، نظرا للعلاقة العدائية السابقة وتصادم مصالح الطرفين، وتجدد المواجهة التي كان الشايبة يسعون من خلالها لاستعادة مجدهم المندثر.

وابتدأت الحرب ما بين (965هـ-1557م) إلى (1088هـ-1677م) في مناطق متنوعة من الجزائر وتونس، ووربما عرفت فترات تقارب حيث لا ندري إن كان الشابية استطاعوا في فترات لاحقة استعادة القيروان، ففي رواية مفادها أنّ القيروان سنة (994هـ/1586م) كانت تحت حكم عبد الصمد الشابي وسلمّ قلعتها وما يملك منها إلى بايلرباي تونس⁽²¹⁾، بعد حرب طويلة استمر أتباع الشابية وقادتهم يواجهون العثمانيين تارة ويعتصمون متخفين بمواطن القبائل المناصرة لهم تارة أخرى⁽²²⁾.

3- استراتيجيّة عبد الصمد الشابي الثورية :

اقتضى اعتماد النهج الثوري من طرف عبد الصمد الشابي لمواجهة الأتراك واستعادة مجد الدولة الشابية استراتيجية لم تختلف على من سبقوه من شيوخ الطريقة، خاصّة وأنّه بات يعتمد على القبائل بشكل كبير لمواجهة السلطة العثمانية والإستعانة بها لتكوين جيشه وتدعيم نفوذه، مما جعله يلجأ إلى أحواله دريد بالسرّس الذين استحكم فيهم وشاخ عليهم، وكانوا قد اشتهروا بإخلاصهم لوالده، وأصبحوا يمثلون تلاميذ للشابية⁽²³⁾.

إضافة إلى قبائل أخرى كالحنانشة والحراكتة، وبني بربار وطرود، والقبائل المستقرّة بالمنطقة، والتي شكلت دعامة الدولة الشابية في فترات سابقة، كما نجح في تزعم قبائل النمامشة والهمامة وأولاد زايد وغيرهم، والسيطرة على سكان الأوراس، والقيام بفلاحة سهول باغاي لحسابه⁽²⁴⁾.

واعتمد في ضمّه للقبائل على المصاهرة، حيث تذكر الروايات أنّه صاهر كثيرا منها بهدف تسهيل عملية استتباعه لها وتوثيق العلاقة بها، وقد اعتبر الباحثون أنّ هذا النوع من الزيجات أضحى تقليدا استراتيجيا عولت عليه السّلالات القائمة في الحفاظ على التوازنات بين القبائل القويّة معتمدة عليه في الظروف الصعبة⁽²⁵⁾.

كما اتّخذ عبد الصمد من القلعة بواد هلال بجبل أرقو مكانا حصينا يحميه من هجمات أعدائه بما يميّزها من ارتفاع وانعزالها، وكانوا يصعدون إلى القلعة بواسطة قنطرة مبدؤها من رأس الجبل جنوبا ويطوونها إن وصلوا إلى القلعة⁽²⁶⁾، وكانت تُحرس من طرف القبائل المتحالفة مع الشيخ عبد الصمد الشابي، حيث كان حوالي خمسمائة من الخيالة من قبيلة دريد، إضافة إلى القبائل الأخرى كالنمامشة والهمامة والحراكتة عامّة، والذين نصبوا خيامهم بالقرب من القلعة على مسافة عشرة كيلومتر⁽²⁷⁾.

ومن هذا المعسكر كان عبد الصمد الشابي ينطلق في حروبه وهجماته التي شملت المجال الجغرافي الممتد من تونس إلى الشرق الجزائري، واستمرت مواجهته للأتراك حوالي أربع وأربعين سنة معتمدا أسلوبا عسكريا يقوم على تسخير القوة المفرطة والعدّة لمواجهة الأتراك ومتنقلا بين مواطن القبائل والقلعة⁽²⁸⁾.

وترجع بدايات حروب عبد الصمد الشابي مع الأتراك إلى فترة حكم موسى داي (1000هـ-1592م/1001هـ-1593) والذي عرفت فترة حكمه اضطرابات⁽²⁹⁾، كان من أبرزها إقدام الأتراك على قتل والد عبد الصمد محمد بنور سنة (1000هـ-1592م)، فحاول عبد الصمد الشابي الثائر لوالده فقرر تجميع القبائل ومواصلة المواجهة، مما اضطّر داي تونس لاستشارة السلطان العثماني في اسطنبول حول أمر الثائر والقبائل الحليفة له، فأشار بالقضاء عليه⁽³⁰⁾.

ونتيجة لهذا الأمر قررت القوات التركية مواجهته فخاضت معه معركة رهيبة أدت إلى انهزامة عرفت بواقعة قيبر (Guiber) حوالي سنة (1001هـ-1592م) خسر فيها عددا كبيرا من قواته⁽³¹⁾، لمهاجمهم بعدها محاولا الإنتقام لنفسه ولأتباعه بعد أن بدد شملهم، ولكن هذا الإنتصار لم يدم طويلا حيث انهزمت قوات عبد الصمد الشابي أمام عثمان داي⁽³²⁾ وتعقيمهم وأبعدهم من المناطق المجاورة للقيروان حسب رواية سامح التران الذي يذكر: "أنَّ العثمانيين بزعامة عثمان داي قاموا بطرد عربان الشوابية (يقصد البدو المناصرين لهم) من القيروان سنة (1014هـ-1605م)، بعد أن كانوا مستولين على أواسط تونس ومضطهدين لسكان المنطقة التي تمتد من القيروان حتى محاذاة تبسة"⁽³³⁾.

وكان هدف شيوخ الشابية استعادة مجدهم من خلال تأسيس إمارة بدوية في الجنوب الغربي لتونس وبخاصة بمنطقة الجريد، ومواصلة ما قام به الشيخ الزفزاف من تهيئة للمجال، حيث تدعت في عهد عبد الصمد الشابي عن طريق النشاط الثوري المستمر، والذي كثيرا ما كان ينتهي بانتصارات أحيانا وبالهزيمة أحيانا أخرى على جبهتين، الجبهة التونسية ضد الباشوات والدايات التونسيون، والجبهة الشرقية ضد بايات قسنطينة، معتمدا في ذلك على دعامة قبلية متنوعة متقلبة الولاء.

4- علاقة عبد الصمد الشابي بالقبائل :

لم تكن علاقة الشيخ عبد الصمد بالقبائل المتحالفة معه على مايرام في معظم الأحوال فكثيرا ما عرفت توترا وحروبا بسبب الخلافات المادية، أو رفضا للأسلوب الممارس من طرف الشابي على أتباعه⁽³⁴⁾ والإنضمام إلى السلطة العثمانية بعد استئلافهم تدريجيا أو إخضاعهم ردعيا، وإدراجهم ضمن مؤسسة قبائل المخزن مثل ما حدث على امتداد القرنين السابع عشر والثامن عشر⁽³⁵⁾.

وكان لشخصية عبد الصمد الشابي المتميزة بالصلافة والعنف أثر في فقدانه لحلفائه وأتباعه من القبائل وتفريقهم عنه، وكان قد أقدم فيما قبل على قتل بعض أفراد أسرته إثر وليمة دعاهم إليها بيته⁽³⁶⁾، ولعل هذا ماجعل أتباعه وأقرباؤه ينفرون منه ولا يأمنون مكره، فانصرف عنه أخوه الشيخ محمد المسعود الشابي بهدف التفرغ للجانب الدعوي، وتخلت عنه القبائل الداعمة له⁽³⁷⁾.

ويبدو أن الهزائم التي تعرض لها الشابي تسببت في انفصال القبائل عنه، فحين هاجمته الجيوش العثمانية سنة (1001هـ-1592م) وتعرضه للهزيمة، فارقت غالبية الأنصار⁽³⁸⁾، ومن بينهم قبيلة الحنانشة التي تخلت عنه، وخاضت معارك ضده وانتصرت عليه في إحدى المعارك، وفي المقابل لم يتقبل هذه الهزيمة، فبعد أن استعاد قوته هاجمهم، وتغلب عليهم في أواخر سنة (1001هـ/1592م)، وبدد شملهم وانتزع منهم مغانم كثيرة⁽³⁹⁾.

ولم يكن موقف القبيلة ثابت اتجاه الشابية في الولاء لها أو معارضتها، فكثيرا ما تلجأ الحنانشة إلى الطريقة أو إلى السلطة العثمانية لتحقيق مصالحها، مستغلة ظروف القوة بالنسبة للفريقين، فلم تستقر على ولاء ثابت، مفضلة التقلب بين الفريقين للحصول على مكاسب بين أطراف الصراع، ممثلة بذلك رمزا للرفض والإمتناع وملجأ للذين لهم مطامع في الحكم⁽⁴⁰⁾.

وقد أثر موقف القبائل على انتصارات عبد الصمد الشابي، فكثيرا ما كان يجد نفسه معزولا بعد تمردهم فيسعى لضمان ولائهم أو مواجهتهم، ومن بين هذه القبائل قبيلة الذواودة التي انفصلت عنه بعد أن غادر جبل ششار باتجاه الجريد، حيث يورد العدواني هذه الحادثة بقوله: "غادر عبد الصمد الشابي منطقة الأوراس باتجاه قبائل الشرق (بتونس) تاركا السلطة لابن عمه حميدة. ولكن سكان الأوراس ثاروا عليه، وأجبروه على اللجوء إلى أعلى قمة في الجبل، ولكن حميدة فرّ منهم للإلتحاق بعبد الصمد الشابي، مما جعل الذواودة يمدّون نفوذهم بمنطقة الأوراس بزعامة مراد الذواودي حسب رواية العدواني (41).

ولكن عبد الصمد لم ينجح في إكمال مشروعه، فقد أُجبر على العودة إلى المنطقة لاستعادة نفوذه، ولم يطل به المقام في الجريد، فبعد عودته من الجريد إلى الأوراس ثارت عليه قبيلتي طرود ودريد، واضطر إلى خوض الحرب ضدهم، وانتصر عليهم سنة (1013 هـ/1604م) في عمرة قرب قفصة (42).

ويبدو أنّ المواقف المتقلبة ما بين القبائل وعبد الصمد الشابي قد ترجع إلى طبيعة القبائل التي لم تكن تربطها علاقة روحية متينة بالطريقة بقدر ما كانت تسعى لتحقيق مكاسب مادية، إضافة إلى شخصية عبد الصمد الشابي وأسلوبه في التعامل مع أتباعه من القبائل، والتي كانت تحكمه القوة وتتحكم فيه المصالح. ولهذا نجد بأنّ القبائل كانت متقلّبة الولاء بين الشابية وبين السلطة التركية، وهذا النوع من السلوك جعل بعض الروايات تصفها بأنها كانت كسيوف الرمال حين تهب عليها الرياح العاتية، وما تلبث أن تنتقل تحت وقعها من مكان لمكان، وكان شأنها حين تهب عليها رياح الطمع تُسرّع بمفارقة من قلّت موارده إلى من يلوح لها بالعطاء (43).

وفي المراحل التي عرفت فيها الشابية تراجعا كانت السلطة العثمانية تفرض نفوذها على القبائل، عن طريق القوة أو باستعمال ظاهرة المخزنة وتشكيل هيئات شبه عسكرية محلية قائمة بذاتها اقتباسا من السلطة الحفصية (44)، بهدف إخماد التمردات وجمع الضرائب مقابل الإعفاء من الضريبة وتقديم الإقطاعات والإمتيازات، وهذا شكّلت مخزنة القبائل أسلوبا وسياسة ترمي من خلالها الدولة إلى تنمية مواردها وفرض سيادتها وسيطرتها على مجالها الإقليمي (45).

5- علاقة عبد الصمد الشابي بالبايات المراديين :

تميزت العلاقة الشابية المرادية بصراع مستمر في أغلب الفترات، مع تقارب في أواخر عهدهم، وقد تحكّم في هذه العلاقة الصراع حول مناطق النفوذ والإستفادة من الإمتيازات التي تتميز بها الأقاليم وتوظيف العنصر البشري المتمثل في القبائل المتمركزة والمسيطر على جلّ البلاد كقبيلة الحنانشة وأولاد بليل وأولاد أبي سالم، وأولاد شنوف وأولاد سعيد (46).

5-1 حروب عبد الصمد الشابي مع مراد باي (1022-1025/1613-1616م):

قامت سياسة مراد باي منذ توليه الحكم على مواجهة القبائل الثائرة التي كانت تشكّل خطرا على سلطته، كما تمّ في عهده ضبط الحدود بين تونس والجزائر في المعاهدة الأولى سنة (1023 هـ- 1614م) والتي من نتائجها تأمين النفوذ المركزي والمجال الجغرافي الذي يمثل امتداد مجال سيادته على المدى الطويل (48).

وكان هدف الباي القضاء على الإحتكارات الضريبية التي كانت تتعاطى استخلاصها العديد من القبائل والزوايا ،فواجه هذه الأطراف للحدّ من امتيازاتها ،وتدعيم مؤسسة الباي بإنشاء (بيت خزندار)لتدعيم سلطته المالية (49) .

ويبدو أنّ النشاط المكثّف للقبائل ودعمها للشابية في فترات معينة كان له أثر في توتر علاقتها بسلطة البايات،ومن بين هذه القبائل قبيلة طرود التي بمعارضتها للسلطة وتحالفها مع الشابية أصبحت مستهدفة من طرف البايات ،فقد حاول الباي مراد الإستعانة بمن لهم نفوذ عليهم كي يساهم في التقليل من خطرهم ،فأتصل بعبد الصمد الشابي لوضع حد لنشاط القبيلة المعارضة،إلا أنّ هذا الأخير رفض طلب الباي رغم التوتر الذي كان يشوب علاقتهم بقبيلة طرود (50) .

ولعل العداء التاريخي الذي ميّز علاقة الشابية بالأتراك فرض على عبد الصمد الشابي عدم التدخل إلى جانب مراد باي ،ربما إدراكا منه على أنّ الإنسيّاق وراء طلب الباي قد يكون له تأثير على إمكانية استعادة القبيلة إلى جانب الشابية،إضافة إلى ذلك فقد يمثل ذلك تفریطا في ملكه،وتخلّ عن مشروعه في استعادة مجد الدولة الشابية،أوعدم ثقته في إمكانية الإستفادة من الإمتيازات التي وعدها به العثمانيون (51) .

وكان التوتر هو السّمة البارزة لعلاقة عبد الصمد الشابي بالباي ،حيث تحيّن هذا الأخير فرصة مناسبة لمهاجمة الشابية،واتّجه إلى مركز الشّابية بعين شبرو بالقرب من تبسة بين التل والصحراء،في جيش يضم حوالي ألفين فارس حسب رواية العدواني الذي يقول : "ركب صاحب تونس في ألفين من الخيل وقصد الشابي،وكان نازلا في موضع يقال له عين شبرو" (52)،وأثناء سيره سألوا صيادا من قبيلة الحنانشة عن مكان تواجد قوات الشابية ،فذكر لهم بأنّه انتقلوا من "عين شبرو" إلى "واد رومل" قرب قسنطينة (53) .

وقد اهتدى هذا الحناشي إلى حيلة حتى لا يباغت الباي عبد الصمد وقبيلته الحنانشة،فعرض على قوات الباي الإلتحاق بمكان تواجد الشابية وموافاتهم بأخبار حولهم ،ووافقوه على الفكرة،ولمّا وصل الحناشي إلى معسكر عبد الصمد أعلمه بوجود قوات الباي والإستعداد لمواجهتها (54) .

ويبدو أنّ هذه الخدعة التي اهتدى إليها الحناشي ساهمت في انتصار قوات الشابية على جيوش مراد باي،فقد سارع عبد الصمد إلى تجميع قواته والإتجاه بها إلى الجبل ،وهذا ما يُورده العدواني بقوله:"فقام الشابي وحمل جميع ما عنده على ظهور الإبل،وأوصى خدامه:"انطلقوا بهم إلى الجبل،فانطلقوا نحو الجبل وإذا بالخيل أطلقت عنانها كأنّها عنان واحد قاصدين الشّابي" (55)،وتقابل الجيشان في معركة دامت حوالي أربع ساعات،تراجعت فيها عناصر الجيش التركي بعد أن قتل منهم الشابي حوالي 150 فارسا،واستولوا على خيولهم ودروعهم وطاردوا المتبقين إلى مشارف باجة (56) .

وعن هذه المعركة ذكر العدواني بأنّ باي تونس تأثر لهزيمة قواته،وعاتب قادة جيشه وصرخ فيهم بقوله: "الذين يشربون لبنان البقر يغلبونكم،قالوا له أمرُ الله غالبا" (57)،وتدل هذه العبارة على احتقار الباي لقوات الشابية وما يميّزها من طابع بدوي،وهو امتداد للإمارة الشابية البدوية (58) .

وقد تركت هذه الهزيمة أثرا في نفس الباي، الذي كان يترصد بقوات الشابي ويتحين الفرصة المناسبة، فوجدها أثناء قدوم قافلة الشابية إلى تونس لشراء الطعام، فركب ألفا من الخيل وقصدها فوجدها بموضع يقال له عبيدة بقرب قصر الكاف، واستولى على أربع مائة بعير⁽⁵⁹⁾، وعلم عبد الصمد بالخبر بعد رجوعه فكتب إلى مراد باي يطلب منه استرداد ما أخذه وإلا سيهاجمه في رسالة تتضمن تهديدا، ومما جاء فيها: "أما بعد: فلا بد تردّ ما أخذته من قافلتنا على الوفاء والتمام، وإلا كُنْ على حذر فإني أتيك بالخيل والرجال على الفور"، فرد عليه الباي بقوله: "إنّ الذين قابلك أول مرة ذهبوا وأت قواك فلستنا من الناس الذين يخافون"⁽⁶⁰⁾.

أعدّ الشابي العدة وقام باستدعاء القبائل المتحالفة معه، فكتب إلى الحنانشة وبني مومن والفراجة وبني سليمان والسعايدية وبني صالح وقرفة وبني عرعار وأهل مجور⁽⁶¹⁾، وأيدوه في جيش بلغ تعداده ألف وخمسمائة فارس، وتمكّن جيش الشابية من الإيقاع بقوافل خصمه بموضع يقال لها السلوقية، فاستولى على ستمائة ناقة وبعض الإبل التي كان قد أخذها مراد باي، وقفل راجعا إلى معسكره بوادي رومل⁽⁶²⁾.

وتأثر مراد باي من هذه الحادثة، وتحسّر على ما أصاب قوافله، فأرسل إلى مناطق عديدة من تونس ليجمع جيشا من المقاتلين، فتجمع له من قابس وما صاقمها ومن الجريد ونفزاوة وغيرها حوالي أربعة آلاف فارس وست مئة من المشاة، وقصدوا وادي صراط في طريقهم إلى معسكر الشابي بوادي رومل، وعلى إثرها وجه وزير تونس إلى الشابي رسالة تتضمن التحذير من إمكانية هجوم جيش مراد باي عليهم فجأة والتي من نصّها: "إننا سنستولي على ما تملكون، وسنحطم رجالك الأشداء، وننتزع منكم الأرض التي تحتلونها، ونقدمكم في النهاية أكلة سائغة للذئاب"⁽⁶³⁾.

ويشير هذا الخطاب بما يتضمنه من تهديد إلى حدّة الخلاف والصراع الدائر بين الطرفين، ورغبة كل طرف الإيقاع بالآخر، فقد كان الشيخ عبد الصمد الشابي يبحث عن مكان مناسب لخوض معركته بدعم من مستشاره، فوقع اختياره بعيدا عن مستقرهم، وأقاموا بها ثلاثة أيام في انتظار جيش الباي⁽⁶⁴⁾.

والتقى الفريقان، فكانت بداية المعركة بمبارزة دارت بين أحد فرسان أولاد سعيد التابعين للباي وأحد فرسان الحنانشة حلفاء الشابية، وانتهت بانتصار الأول ومقتل الثاني، ودار حوار قبل المبارزة بين الفارسين، تطرق له العدوانى بالتفصيل بقوله: "فلما نظر إليه قال له من أنت قال له رجل من بني حناش، قال له سعيد ما تريد قال الغرام نريد قتلك بعون الله تعالى يا قليل الخير، قال له سعيد: ثكلتك أمك أنا فارس إفريقية طولا وعرضا تحدثني بهذا الحديث، يا ظالم وأبوك ظالم تأتوا الناس لمنازلهم يا قلال الخير، قال له: أنتم الظالمون، قال له تأخذ مال الأمير وتبعثوا له بالكلام الخشن قال له (الغرام): ما هو بأمر علينا، وإنما هو أمير على إفريقية وعمالها، ونحن أفضل منه دنيا وأخرى، نحن من أولاد عبد الله بن مسعود علام رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له: أنت أمير البقر، وجدكم مالنا به حاجة لأنه أفضل منا على كل حال، وأنت رجل بدوي وتشرب لبان البقر، وتناموا على الحلفاء وتتوسد العرعار، قال له الغرام: اسكت يا كلب الأمير، فلما سمع كلامه ذلك تغير لونه، وتحير عقله، فدنيا من بعضهما البعض والتقيا بسيوفهما على ضربة واحدة، فسبقت ضربة الإفريقي، فصادت كتفه فقتله ومات الحناشي"⁽⁶⁵⁾.

نستنتج من هذا الحوار مستوى التنافس بين القبائل، وانقسامها بين ولاء الحنانشة للشابية واعتزازها بالإنسحاب لها وعدم اعترافها بالسلطة العثمانية بتونس، في مقابل ارتباط أولاد سعيد بالسلطة العثمانية رغم معارضتها لها في غالب الأحوال وتعرضها لحمالات عسكرية من طرفها، وتأكيدا على لسان سعيد انتماءها الترابي لإفريقية⁽⁶⁶⁾.

وبعد هذا النزاع الفردي التحمت المعركة بين جيشي الباي والشابية، واستمرت من صلاة الصبح إلى صلاة الظهر⁽⁶⁷⁾، وانتهت المعركة بخسائر من الطرفين، حيث فقد جيش مراد باي خمسين جوادا ومائة وخمسين فارسا من بينهم خمسة وعشرون من حاشيته، أما الشابي فقد خسر مائة جواد ومائة وستين فارسا، وتمت الهدنة بين الطرفين لمدة يوم واحد لدفن الموتى ومداواة الجرحى⁽⁶⁸⁾.

كان الباي يسعى من خلال هذه الهدنة زيادة عدد قواته باستدعاء القبائل لاستئناف قتاله ضد الشابية وضمان النصر العسكري، فأرسل رسله إلى نفطة وتوزر، ولكن طرود حليفة الشابي قامت بقتل أربعين رجلا من أتباع مراد باي، ومبعوثه (احطام)⁽⁶⁹⁾.

وكانت طرود بموقعها وقوتها إحدى أقوى قبيلة في منطقة الصراع، فقد استعان بهاعبد الصمد الشابي فأمدته بحوالي خمسمائة فارس، رغم قلة العدد في نظره⁽⁷⁰⁾، وانطلقت المعركة من جديد بين الفريقين بعبدة قرب الكاف، واستطاعت قوات الشابية حسم المعركة لصالحها، بعد تفهقر جيش مراد باي، الذي فقد حوالي ستين جوادا وأربعمائة من فرسانه، واثني عشر فارسا من بينهم خمسة من الحنانشة، وثلاثة من الزاب منهم (المقداد، وسالم الباهر، كثير بن عمر)، واثنان من قرفة وواحد من الشابية، والكاتب بن عمران البكري⁽⁷¹⁾.

ويبدو أنّ الخسائر كانت كبيرة في جيش الباي، مقارنة بقوات الشابي التي حققت النصر نظرا للدعم الذي لقيته من قبيلة طرود، ورغم ذلك فإن مراد باي لم يستسلم، وبدأ يبحث عن الحلول للتأثر للهزيمة.

2-5 دور قبيلة طرود في صراع الشابي والباي :

ساهم العنصر البشري الممثل في القبائل بدور كبير في حرب مراد باي مع عبد الصمد الشابي، ولعل قبيلة طرود كانت أشدهم قتالا، لما تركته من أثر على نفسية مراد باي المهزم، وعبد الصمد الشابي المنتصر والذي خاطبهم بقوله: "أنتم مني وأنا منكم دم ولحم وعظم إلى أن تقوم الساعة"⁽⁷²⁾.

ولعل هذا الدور هو الذي جعل مراد باي يسعى لكبح جماحها بعد أن اندفعت بخيلها إلى باجة فأطعمت خيلها الزرع وعاثت فسادا، فبعث إلى وُلاته في كل من صفاقس وسوسة وقابس وطرابلس يطلب دعما بالخيل والرجال بقوله: "أتوني خيلكم ورجالكم على الفور، لأن طرود فسدوا بلادي وبقي في قلوبهم شيئا علينا"⁽⁷³⁾.

وكان حكامه في هذه الأقاليم يُدركون خصوصية قبيلة طرود وقوتها، فبعث إليه صاحب طرابلس رسالة يدعوه فيها إلى أن يدع القبيلة وشأنها، مبينا له بأن القبيلة قامت برحلات متعددة من اليمن إلى قابس يبحثون عن استقلالية في الحكم، وهم على حدّ قوله: "أهل غرض فلا يسكنون إلا بلاد الدّتاب والغربان، والحلّ أن تبعث لهم نحو ألف دينار فإمّا يرحلوا عنك أو يساندوك"⁽⁷⁴⁾.

ولما قرأ الباي رسالة صاحب طرابلس جمع أعوانه وطلب منهم رأيا ففوضوا له الأمر، ولم يقتنع بفكرة حاكم طرابلس، فقرر أن يتجه إلى عبد الصمد الشابي لمواجهته وإلقاء القبض عليه، وحسب رواية العدواني قوله: "نقاتله ونأخذه أسيرا، ونشوي لحمه في القدور ونأكله"⁽⁷⁵⁾، ولكن مستشاريه لم يوافقوا على الفكرة واقترحوا عليه فكرة صاحب طرابلس، ولكن الرأي الأخير الذي استند إليه الباي هو اقتراح وكيله عمّار التستوري بالهجوم على جيش الشابي بباجة وأخذهم على حين غرة، واستقروا في الأخير على هذا الرأي، واستنادا إلى هذا الرأي قام الباي بتجميع جيوشه المتكونة من حوالي تسعة آلاف، منها أربعة آلاف فارس والباقي مشاة وهجموا على جيش الشابي، فقتلوا منهم أربعون رجلا وستون فارسا، واستمر القتال أمام صمود جيش الشابي ويأس الباي، مما أجبر هذا الأخير على القيام بمفاوضات مع الشابي سنة (1025هـ/1616م) عبر وسطاء، نتج عنها اقتراح تقسيم البلاد⁽⁷⁶⁾.

وقبل عبد الصمد مقترح التقسيم، رغم عدم ثقته في مراد باي، مشرطا أن تكون إمارته ممتدة من باجة إلى أرض الزيبان، ويكون للباي من جنوب باجة إلى أرض الجريد إضافة إلى منطقة تونس، ونجح في فرض شروطه على مراد باي سنة (1025هـ/1616م) المتضمنة الموافقة على مشروع تقسيم النفوذ مناصفة، ولكن هذا المشروع لم يكتب له النجاح بسبب تراجع الباي عن وعده، بعد أن علم بمعارضة طرود لهذا التقسيم وانقلابها على عبد الصمد الشابي⁽⁷⁷⁾، بسبب رفضه منحها ثمن مشاركتها، ويورد العدواني قولهم: "نحن لامنك ولا منه نحن أصحاب دراهم ودنانير، إمّا تعطينا وإلا نرجعوا عليك إلى صاحب إفريقية نحن الذي قهرناه عليك"⁽⁷⁸⁾.

ويبدو أنّ السعي وراء الغنائم هو الذي تحكّم في علاقة عبد الصمد الشابي وقبيلة طرود، وأكدت على هدفها من دعمه مُهددة بفك التحالف، والإنضمام إلى الطرف الآخر أو أخذ نصيبها من المال، ولكن عبد الصمد الشابي كان قد بلغ من الجهد وأنهكته الحروب ولم يستطع تلبية طلبها⁽⁷⁹⁾.

وبعد فكّ التحالف قامت القبيلة بمفاوضات مع الباي لمنحها المال مقابل أن تترك له البلاد، وأمام عجز الباي عن تلبية مطالبها لجأت كعادتها إلى القتال والإغارة فاتّجّعت إلى عين بريابار، واستولت على قافلة متكونة من مائة وخمسون بعيرا ورجعوا إلى باجة، مما اضطر الباي إلى العدول عن رأيه ومنحهم خمسمائة دينار وعشرة ثياب وخمسة وعشرون فرسا، فقسّموها فيما بينهم وغادروا باجة باتجاه الجريد⁽⁸⁰⁾، وبهذا العطاء حاول الباي أن يستدرج طرودا للتحالف معه وهيأها لمحاربة الشابي، لكنّه لم ينجح في ضمان ولائها، مما اضطره بعد فترة من استعادة قواه إلى التقدم لمواطن الشابية بقلعة أرقو سنة (1034هـ/1625م)، وقيامه بسجن أحد شيوخ الشابية المتواجدين بالقلعة وقتله⁽⁸¹⁾.

ويبدو أنّ النزاع الحدودي بين الجزائر وتونس قد أرقّ مراد باي، حيث ساهمت القبائل المتاخمة للحدود بزاعها حول المراعي في هذا الصراع، ومنها قبيلة أولاد سعيد وأولاد شنوف، فقد حملهما مراد باي مسؤولية اندلاع النزاع الحدودي وهزيمة الجانب التونسي سنة (1037هـ-1628م)⁽⁸²⁾، ويشير ابن أبي دينار لهذه الحادثة في معرض حديثه بقوله: "فالشّخ ثابت بن شنوف هو الذي استجلب عسكر الجزائر وأطعمهم في البلاد.. وأنّ الأعراب خانت وكان أعظمهم من أولاد سعيد"⁽⁸³⁾.

النتائج والتوصيات :

من خلال ماسبق نستنتج مايلي:

- نشاط الشيخ عبد الصمد الشابي الثوري في المجال الجغرافي الممتد بين تونس والشرق الجزائري كان طابعه عسكري في مواجهه العثمانيين بالقطرين التونسي والجزائري مستفيدا من الحراك القبلي بالمنطقة نظرا لتنازع الطريقة الشابية السلطة مع الأتراك .

- سعى عبد الصمد الشابي إلى إعادة مجد الطريقة الشابية واسترجاع مكانتها المفقودة والإستفادة من الإمتيازات التي حصلت عليها اثناء انفصالها بالقيروان ، رغم أنّ التنافس بين القبائل والزوايا والسلطة كان سائدا في تلك الفترة، مع اهتمام الحكام ببعض الزوايا والأولياء والإعتقاد فيهم ، وتخصيص أوقاف لهم.

- النهج الثوري المتبع في مواجهة الأتراك قد أثر سلبا على استمرارية الطريقة، وجعلها تفتقد مكانتها بسبب الملاحظات المتكررة للأتراك ، وهو ماهدد مصيرها وجعلها تتلقى هزائم متكررة أمام انفصال العديد من القبائل عنها وانضمامها للسلطة العثمانية كقبيلة طرود ودريد وحتى الحنانشة، وتخلى الشيخ عبد الصمد عن مشروع الطريقة الشابية الدعوي والعلمي .

- الطابع الإحتجاجي للطريقة الشابية بزعامة عبد الصمد الشابي كلفها خسائر مادية وبشرية ، وجعلها تواجه مصيرا محتوما تمثل في أولها وتراجع نشاطها.

وفي هذا الجانب تبدوا الدراسات حول الشابية ونشاطها ناقصة مما يجعل المجال مفتوحا أمام الدراسات المستقبلية ، وما قد يتوفر من استكشاف لوثائق متعلقة بالطريقة والتعرف أكثر على نشاط شيوخها وإيراز الأسباب المتعلقة بنشاطها الإحتجاجي والدعوي في الفترة الحديثة .

الإحالات والهوامش :

1- هو عبد الصمد بن محمد بنور بن عبد الطيف بن أبي الكرم بن أحمد بن مخلوف الشابي ، وحسب القرائن يكون ميلاده حوالي (964/هـ/1557م) ، أنظر : علي الشابي، (1980). العلاقات بين الشابية والأتراك العثمانيين بتونس بين أواخر القرن السادس عشر ونهاية القرن السابع عشر، المجلة التاريخية المغربية، (17- 18) ، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل ، تونس ص69.

2- تنتسب الطريقة الشابية إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن مخلوف والذي عاش ما بين سنة (835/هـ/1431م - 898/هـ/1492م) ، وهي طريقة ناصرية شاذلية ، تقوم على ثلاثة أصول "علم الشريعة" والقرآن والسنة والأخلاق الصوفية وعلم التوحيد، وعلى ورد محدد يقرأه أتباعها في أوقات معينة، ما يقوم أتباعها بتلاوة أذكار وأوراد يرددونها مثل :قراءة حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي، وهذا يبين الإرتباط بين الطريقة الشابية والشاذلية ، حيث تتصلان ببعضهما ، وتعتبر الشاذلية أعلى سند صوفي للشابية ، من خلال إرتباطها بالورد الخاص بها ، إضافة إلى قراءة حزب الفلاح والذي يمثل أساس الورد الشاذلي ، وتؤكد الدراسات بأن الإرتباط بينهما واضح لأن الشاذلية تعتبر قطبا جاذبا للطرق الصوفية التي ظهرت بعدها في المغرب . للتحصيل انظر : علي الشابي ، العارف بالله أحمد بن مخلوف الشابي وفلسفته الصوفية ، (مدخل لدراسة الطريقة الشابية التي أسسها ابنه عرفة الشابي الدولة الشابية بالقيروان سنة 942/هـ/1535م) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1979 ، ص 22 وما بعدها؛ علي الشابي ، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية ، المجلة التاريخية المغربية ، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل ، فيفري/13- 14 ، 55 ، أحمد بن محمد بن عياد الشافعي الشاذلي، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، اعتنى به ، عاصم إبراهيم الكيالي ، منشورات دارالكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص 161.160.

- 3- أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار، (1286هـ/1869م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، طبعة الدولة التونسية، ط1، تونس، ص 153.
- 4- ويرد علي الشابي على رواية ابن أبي دينار ويعتبرها غير صحيحة، باعتباره أنه لا يمكن أن يشارك عبد الصمد الشابي إلى جانب سنان باشا في معركة بحلق الوادي وسنة ستة عشر سنة، كما أنّ العلاقة بين الشابية والأتراك لم تكن جيدة، مما يجعل الفصل في الرواية أمراً صعباً وعن لتفاصيل راجع: الشابي، «العلاقات بين الشابية والأتراك»، ص 69.
- 5- علي الشابي، «عرفة الشابي، رائد النضال القومي في العهد الحفصي»، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982، ص 45.
- 6- علي الشابي، أمير القيروان: محمد بن أبي الطيب الشابي (1542/949هـ - 1557/965م)، المجلة التاريخية المغاربية العدد 135، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان، جويلية، 2009، ص 99.
- 7- كان من القيادة العظام وكبار وزراء الدولة العثمانية، وله آثار عظيمة بكثير من المدن التونسية توفي سنة (1004هـ/1596م)، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ج1، ص 23.
- 8- أحمد قاسم، «وثائق عثمانية تهتم بوضع تونس في أواخر القرن السادس عشر»، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية، الحياة الإدارية وبرز القوميات ودور الأقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع ومراجعة وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات بزغوان، تونس، فيفري، 1992، ص 354؛ هناك من يرى بأن الوجود التركي بتونس يمثل احتلالاً مثل الكاتب الهادي شريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجيبة، سراس للنشر، تونس، 1980، ص 69.
- 9- أحمد بن أبي الضياف، «إنعاف أهل الزمان في أخبار تونس وملوك وعهد الأمان»، ج1، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1976، ص 24.
- 10- عبد الجليل التميمي، «معاور مرجعية لدراسة الإدارة العثمانية بالولايات المغاربية أثناء العهد العثماني»، أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات العثمانية، ضمن كتاب الحياة الإدارية وبرز القوميات ودور الأقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع ومراجعة وتقديم: عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات بزغوان، تونس، 1992، ص 88.
- 11- Robert Mautran: L'Evolution des relations entre la Tunisie et l'empire Ottomane du XVIe au XIXe siècle», le cahier de Tunisie , T7, 321.
- 12- كان للدور الذي قام به رمضان باشا في تونس، دور في تعيينه قائداً على الجزائر، حيث سلمه أحمد باشا التعيين، فغادر القيروان متجهاً إلى الجزائر في (981هـ/أفريل 1574)، كما شارك في شهر جويلية بقوات إلى جانب علي أنظر: محمد بن أحمد الأندلسي الوزير السراج، العهل السندسية في الأخبار التونسية، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985، ص 231؛ أيضاً: Fray, Deigo de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, Tra, Par H. De Grammmant, R..A, T24, 425-426.
- 13- الرواية انفرد بها ابن أبي دينار، إلا أن علي الشابي يفندها ويعتبرها غير صحيحة باعتباره أن سن عبد الصمد الشابي كان يبلغ 16 سنة، وبالتالي لا يمكن مشاركته في الحصار، أنظر: الشابي، العلاقات بين الشابية والأتراك، ص 69-70؛ في حين نجد أنه يأخذ بالرواية في كتابه: تاريخ الشابية خلال العهدين الحفصي والعثماني، دار نقوش عربية، جمعية الشابي للتنمية الثقافية والاجتماعية، تونس، 2015، ص 360-361.
- 14- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 190-191.
- 15- نفسه، ص 215.
- 16- الشابي، تاريخ الشابية، ص 361.
- 17- لم تشر الروايات بشكل واضح للتقارب بين الشابي وخير الدين ولعل النزاع الذي ميز الشابية مع الحسن الحفصي هو الذي أجل عملية النزاع العثماني الشابي، أنظر: شارل مونشيكور، القيروان والشابية (1450-1592)، ترجمة: محمد العربي السنوسي، دار نقوش عربية، ط1، تونس، 2015، ص 73-75.
- 18- الشابي، العلاقات بين الشابية والأتراك، ص 71.

- 19- الشابي، أمير القيروان، ص 99.
- 20- كان يسعى للسيطرة على تونس والحفاظ على الرقعة الجغرافية التي سيطر عليها بين السرس والهمامة والجريد وسوف ، وكان يبحث عن إقرار من طرف العثمانيين لسلطته في هذا المجال الجغرافي ، الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 361.
- 21- هذه الرواية انفرد بها فاضل بيات فهي تحتاج إلى تدقيق خاصة وأن الشابية بعد سنة 1557 لم تتعرض الروايات إلى عودتهم للقيروان بل هاجروا إلى الجنوب التونسي ، عن الرواية راجع : فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي :دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية (مطلع العهد العثماني – أواخر القرن التاسع عشر)، مركز دراسات الوحدة العربية . ط 1 ، بيروت ، 2007، ص 582.
- 22- الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 70 - 72.
- 23- الشابي ، مصادر جديدة لتاريخ الشابية، ص 79. الذي استعمل مصطلح تلاميذ الشابية هو ابن أبي دينار في روايته حول دريد ، أنظر : بن أبي دينار، المصدر السابق، ص 153.
- 24- العدواني، محمد بن محمد بن عمر العدواني (2005) ، تاريخ العدواني، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 336.
- 25- لطفي عيسى (2005) . مغرب المتصوفة (الانعكاسات السياسية والحراك الإجتماعي من القرن 10هـ إلى القرن 17م)، مركز النشر الجامعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس ، ص 313، ومن القبائل التي صاهاها عبد الصمد الشابي قبيلة الفراشيش ، رغم أنه لم يحقق الهدف من مصاهرته لها لأنها لم تشارك إلى جانبه في الحرب ولم تناصره ، الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 360.
- 26- الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 72.
- 27- نفسه ، ص 72.
- 28- حسب رواية علي الشابي امتدت الحروب ما بين (981/1573 - 1025/1616م)؛ الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 69.
- 29- حاول موسى داي الإفراد بالحكم فلم يتم له ذلك ، وواجه مشاكل عديدة حيث لم يدم حكمه إلا سنة ، ابن أبي دينار، المصدر السابق : 201؛ مقديش محمد (1988) . نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ج 2، تحقيق : علي الزواري، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988، ص 88.
- 30- الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 367.
- 31- يبدو أن هذه الواقعة لم ترد حولها تفاصيل كثيرة ، فهي حسب الشابي تعرف أيضا بمعركة (فج الوصفان) ونتج عنها تخلي عدد كبير من القبائل عن دعمهم لعبد الصمد الشابي ، ومن ضمنهم قبيلة الحنانشة ، الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 361.
- 32- تولى الحكم سنة (1007هـ / 1599م) بعد صراع مع صفر داي ، كانت له معارك كثيرة مع المناوئين ، وأبطل بعض العادات والمكوس ، كما بنى قنطرة مجردة على ثنية بنزرت، توفي سنة (1019هـ / 1610م) ، ودفن بترية الولي أحمد بن عروس ، للتفاصيل أنظر عنه : بن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 201 ، 202؛ السراج، العلل السنديية في الأخبار التونسية ، ج 3 ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1985، ص 342.
- 33- عبد العزيز سامح التز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط 1، بيروت، 1989، ص 295.
- 34- فتحي المرزوقي، المغزن ومعرزة القبائل التونسية من أوائل العهد العفصي إلى بدايات الحكم العثماني (1230 - 1886)، المجلة التاريخية المغاربية، (79 - 80) ماي ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس، 1995، ص 625.
- 35-Feraud(CH) , « Les hrire seigneurs des Hanancha » , Rev- Afr, N18 .1874. 148.
- 36- الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك، ص 71 - 76.
- 37- نفسه، ص 72.
- 38- نفسه، ص 7؛ الشابي، تاريخ الشابية ، ص 361.

- 39- العربي الحناشي ، الحناشنة وعلاقتهم بالسلطة في تونس (1740، 1640) ، شهادة الكفاءة في البحث ، جامعة تونس الأولى ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، (1988/1987) ، ص 35.
- 40- العدواني ، المصدر السابق ، ص 336.
- 41- الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 72.
- 42- الشابي . مصادر جديدة لتاريخ الشابية ، ص 73.
- 43- الشابي . العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 73.
- 44- المرزوقي ، المرجع السابق ، ص 617.
- 45- محمد نجيب بوطالب ، القبيلة التونسية بين التغير والاستمرار ، الجنوب الشرقي من الإدماج القبلي إلى الإدماج الوطني ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، طبع المطابع الموحدة ، تونس ، 2002 ، ص 195.
- 46- مقديش ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 97.
- 47- يعتبر المؤسس الفعلي للدولة المرادية ، ويعرف أيضا بمراد الأول تولى الحكم ما بين (1022هـ / 1613م) إلى وفاته سنة (1041هـ / 1631م) منحه الباب العالي لقب الباشا قبل وفاته سنة (1041هـ / 1631م) ، وكان يسيّر حكمه بمساعدة رجب ، وكانت له صراعات مع القبائل مات في سنته ، ودفن بجوار الشيخ أحمد بن عروس ، للتفاصيل راجع عنه : ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 252 - 254 ؛ مقديش ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 98.
- 48- محمد الصالح العنتري ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها .مراجعة : يحيى بوعزيز ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص 48.
- 49- من بين الأطراف التي كانت تستخلص الضرائب من السكان : الزاوية القشاشية في بداية القرن 17 ، الشابية و قبيلة دريد بالجريد ، للتفاصيل أنظر : هنية عبد الحميد ، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال ، تـر الزمان ، ط 1 ، تونس ، 2011 ، ص 147.
- 50- الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 77.
- 51- نفسه ، ص 77.
- 52- تقع عين شبرو على الطريق بين قسنطينة وتبسة ، وعلى بعد حوالي 20 كم من تبسة : العدواني ، المصدر السابق ، 173؛ أنظر أيضا Feraud(CH) ,Note sur Tebessa, Rev. Afr , N° 108(1874) ,p455.
- 53- الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 78.
- 54- نفسه ، ص 78.
- 55- العدواني ، المصدر السابق ، ص 174.
- 56- تذكر الروايات أن عبد الصمد الشابي قتل من قوات الباي حوالي 150 فارسا واستولى على خيولهم وطارد المتبقين إلى مشارف باجة وعاد إلى معسكره بواد رومل ، العدواني ، المصدر السابق ، ص 174.
- 57- نفسه ، ص 174.
- 58- Feraud(CH) ,Le Sahara De Constantine et De Tunis' ,in Rev Afr,N, 108,November,1868 :p10.
- 59- العدواني ، المصدر السابق ، ص 174.
- 60- نفسه ، ص 175.
- 61- الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 369.
- 62- واد رومل ينبع من أسفل قسنطينة وهناك واد آخر غير بعيد عن مدينة الكاف ، ولعل الأرجح هو الثاني بالقرب من الكاف أين كان النشاط العسكري بين الشابية وحكام تونس يعرف حراكا كبيرا ، أنظر : العدواني ، المصدر السابق ، ص 174 - 175.
- 63- نفسه ، ص 176.
- 64- نفسه ، 179؛ الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 79.
- 65- العدواني ، المصدر السابق ، ص 179 - 178.

- 66 - محمود التايب ، السلوك السياسي لقبيلة بتونس في العهد الحديث ، أولاد سعيد بين الولاء والمقاومة ، عائلة بن الواعر نموذجاً (1864 - 1881) ، تونس : كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، 2009 ، ص 93 .
- 67 - العدواني ، المصدر السابق ، ص 179 .
- 68 - الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 80 .
- 69 - العدواني ، المصدر السابق ، ص 180 .
- 70 - لمارأي الشابي عدد قوات طرود طلبمنها أن تزيد من عددها لكنهم طلبوا رأي الخميري في ذلك ، عن تفاصيل الحوار بين الشابي وطرود أنظر : العدواني ، المصدر السابق ، ص 181 .
- 71 - نفسه ، ص 180 ، يذكر علي الشابي في روايته أن هناك ثلاثة من الحنانشة ، ولم يذكر الكاتب بن عمار البكري ، الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 80 .
- 72 - العدواني ، المصدر السابق ، ص 181 .
- 73 - نفسه ، ص 182 ؛ الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 80 .
- 74 - العدواني ، المصدر السابق ، ص 182 .
- 75 - كان الرأي بأن ينطلق الجيش ليلا ، ويقوم بكمين في النهار واعتماد عنصر المفاجأة : العدواني ، المصدر السابق ، ص 184 .
- 76 - تكون الوسطاء من : دوفان ، زلغوم ، وعون بن علي ، زغوان ، العدواني ، المصدر السابق ، ص 184 .
- 77 - يشير علي الشابي إلى أن الإقتسام حدث بين عرفة الشابي وعثمان داي ، ولعل السلطة الفعلية في هذه الفترة كانت لمراد باي رغم تعيينه من طرف يوسف داي سنة (1022هـ / 1613 م) لتفاصيل أنظر عنه : الشابي ، عرفة الشابي ، 105 ؛ وعن عثمان داي ينظر : بن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 207 ، 208 ؛ مقديش ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 90 ، 94 ؛ السراج ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 360 - 364 .
- 78 - نفسه ، ص 186 .
- 79 - وبعد هذه التطورات لم يعمر عبد الصمد ، حيث وافته المنية سنة (1025 هـ / 1616 م) بعد فترة من مواجهة ضد مراد عن عمر يناهز 67 سنة ، الشابي ، العلاقات بين الشابية والأتراك ، ص 81 ؛ الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 372 .
- 80 - إبراهيم محمد الساسي العوامر ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، منشورات ثالثة ، الجزائر ، 2007 ، ص 187 .
- 81 - لم يرد ذكر اسم الشيخ فالرواية تتطرق إلى أن أباه مات عايب حزنا : Elliatra(R), Un Document indit sur la Tunisie : auXVII eme siecle , P.Ude France 1963 , pp 676,78 ، الشابي ، تاريخ الشابية ، ص 372 .
- 82 - التايب ، المرجع السابق ، ص 79 .
- 83 - ومنها ما خصه مراد باي وحمودة باشا من أوقاف لمسجد أحمد بن عرر ، أنظر : بن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص 208 .